

إنه لا يريد تحسين الكلام ولا التأنيق فيه. بل حسبه أن يسمى الغزوات بأسمائها ويذكرها بترتيبها وذلك لترسخ في حفظ من يجلس منه مجلس التلميذ أو من يظفر في كلامه وشأنه شأن التلميذ. إن يازجى أوغلو يذكرنا بمثل هذا من صنيعه بالكثير من شعراء التركيّة والفارسية الذين نظموا المطولات في شتى العلوم كالنحو، والتصوف وغيرهما وكان غرضهم تعليميا أو تربويا عضا. لذا خلا كلهم من المحسنات وكان حسبهم حشد المعلومات وإن كنا لا ننكر أنه حاول البلاغة شيئا ما كان يشبه نور الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ العالمين قاطبة بنور البرق إذا خطف في الظلماء. إنه يحرص على الإحصاء والتحديد والتقييد وهذا ما يفرغ على كلامه ذلك الطابع العلمي الذي نشاهده فيه.

ويمتد به السياق إلى قوله إن الرواة حكوا قالوا إن السبب في هذه الغزوة أن حمزة كان ذات يوم سائرا إذ مر به ثلاثة من أهل الشرك وما رأوه حتى بسطوا فيه لسانهم بالثلب والسب، فما كان منه إلا أن استل سيفه وأعمله في ثلاثهم وقفل راجعا إلى النبي ﷺ وما مسه من ضرر، وما علمت قريش بهذا حتى دخلها شديد الغضب وعزمت على قتال المسلمين.

إن يازجى أوغلو مؤرخ راوية ينقل عن الرواة ولا يتقل كلامه بشيء من عندياته بل يورد الحقيقة بتمامها. ثم يدخل في التفصيل ويحكى ما وقع كأنما يقص قصة أو يروي خبرا لا يريد أن يحزم منه حرفا واحدا فيقول: إن جبريل عليه السلام نزل على الرسول ﷺ وخبره خبرا هو أن قافلة لقريش عادت من الشام وهو ينبه طالبا إليه أن يأخذ لذلك حذره ويهيئ أمره. ثم ذكر أنه ﷺ خرج في ثلاثمائة من رجاله وثلاثة عشر من صحابته وهذا يرشد إلى أنه يلتزم الدقة كل الدقة في كل ما يذكر، وكأننا به لا يريد إلا حذافير الحقيقة.

ومعلوم أن هذه الصفة التي يستوجبها لكلامه لا تتيح له أن يورد مجازا حتى ولو لتفسير الحقائق. ثم يتحدث عن جبريل ثانية وما يخبره به ويرشده إليه وجبريل في هذا من قوله يسبغ عليه طابعا دينيا ويؤيد أن النبي ﷺ إنما يعمل بناء على ما يوحى إليه إجماع. وفي مثل هذا جمال معنوى خاص بالروح وليس جمالا حسيا تراه العين.

كما يعقب بعد ذلك على ما جرى بينه وبين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والأنصار مما يستبين منه أن النبي ﷺ كان كذلك يسترشد برأى أصحابه ولا يقطع بأمر دونهم